Bible Study

The First Epistle of St. Paul to the Thessalonians

رسالة معلمنا بولس الرسول الأولي إلي أهل تسالونيكي

Fr. Jacob Nadian
St. Bishoy Coptic Orthodox Church

الرسالة الأولي إلى أهل تسالونيكي

الاصحاح الثاني: الأبوة الروحية وخبرة الآلام

"لأنكم أنتم أيها الإخوة تعلمون دخولنا إليكم أنه لم يكن باطلاً. بل بعدما تألمنا قبلاً، وبُغيَ علينا spitefully treated كما تعلمون في فيلبي، جاهرنا في إلهنا أن نكلمكم بإنجيل الله في جهادٍ كثيرٍ" [1 - 2]

- كان أهل تسالونيكي وسط آلامهم في حاجة إلى التلامس مع أبوة القديس بولس الروحية الحانية، لذلك كتب إليهم يفيض عليهم بحنوٍ فائقٍ نابعٍ من القلب، مؤكدًا لهم أنه يشعر معهم بآلامهم ولا يتجاهل مشاعرهم، مؤكدًا مدى اشتياقه إلى الحضور إليهم ليكون قريبًا منهم بالجسد كما بالقلب في هذه الفترة القاسية.
- وإذ أراد أن يكشف عن صدق أبوته لهم في الرب يسوع، أكد لهم أنه لا ينطق بكلمات جوفاء للتملق، إنما ينطلق من أتعابٍ إلى أتعابٍ جديدةٍ، من أجل المجاهرة بكلمة الإنجيل في كل موضع في أبوة روحية صادقة.

- وكأنه يعود بذاكرتهم إلى خدمته في فيلبي قبل مجيئه إليهم، حيث احتمل تمزيق ثيابه والضرب بالعصي وإلقاءه في السجن الداخلي وربط رجليه في المقطرة (أعمال 16: 23 - 24)، وكان يمكنه أن يدافع عن نفسه بكونه رومانيًا، لكنه فضل أن يحتمل من أجل المناداة بالإنجيل. فكرز لحافظ السجن وبيته.
- وحينما التزم بالمجيء إليهم لم يكن ذلك هروبًا من الضيق الذي حلّ به في فيلبي، وإنما جاء ليجاهر بكلمة الإنجيل "في جهادٍ كثيرٍ".
- وإن كانوا هم يعانون من الألم بسبب حق الإنجيل، فإنه، وهو أبوهم الروحي، تألم أيضًا من أجل الكرازة بالإنجيل حاسبًا أن احتماله للآلام والإهانات علامة حية على دخوله إليهم للكرازة بالأخبار السارة الإلهية بطريقة فعالة.
- لقد أكد لهم أن دخوله إليهم لم يكن باطلاً، إذ تألم قبلاً واحتمل الظلم في فيلبي، ومع ذلك لم يتوقف عن الجهاد المستمر من أجل الكرازة.

"لأن وعظنا ليس عن ضلال ولا عن دنس ولا بمكر. بل كما اسْتُحْسِنَّا من الله نُؤْتَمَنَ على الإنجيل، as we have been approved by God هكذا نتكلم لا كأننا نرضي الناس، بل الله الذي يَخْتَبِرُ قلوبنا" [3 - 4]

- في أبوته العملية خلال إنجيل الله احتمل الآلام ليعلن كلمة الله من أجل الله وليس إرضاءً للناس. وكأنه يقول لأولاده: "إذ أؤمن برسالة الإنجيل كعملٍ إلهيٍ قدمته إليكم وسط الآلام الكثيرة، لهذا لاق بكم وقد عرفتم الإنجيل أن تقبلوه أنتم أيضًا وسط الآلام. لقد اؤتمنت على الإنجيل عن حق بلا ضلال ولا دنس ولا بمكرٍ، وأنتم تتلمذتم عليّ لتحملوا ذات الروح".
- وإن كانت الآلام المستمرة من الخارج والجهاد الشخصي الكثير علامة فاعلية رسالته الإنجيلية، فإن صدق رسالته إنما ينبعث عن إعلانه الحق "بغير ضلال"، في حياة مقدسة "بلا دنس"، وبقلب محب "بلا مكر"، لكي يكون الوعظ إنجيلاً إلهيًا حيًا، يليق بمن يقدمه أن يحمل هذه الشروط الثلاثة: الحق والقداسة والحب! هذه الأمور الثلاثة خفية في القلب يعرفها الله "الذي يَخْتَبِرُ قلوبنا" فهو "فاحص القلوب والكلي" (مزمور 7: 9؛ ارميا 11: 20، 17: 10؛ رؤيا 2: 23).

"فإننا لم نكن قط في كلام تملق كما تعلمون، ولا في علة طمع، الله شاهد. ولا طلبنا مجدًا من الناس، لا منكم، ولا من غيركم، مع أننا قادرون أن نكون في وقارٍ كرسل المسيح" [5 - 6]

- أبوته لهم في الله تلزمه وسط الآلام أن يجاهد كثيرًا ليقدم لهم حق الإنجيل بغير كلام تملق أو ضلالٍ، معلنًا في حياته التي بلا دنس ونابعًا عن قلبه الذي بلا مكر. فلا يطلب إلاَّ العمل الإنجيلي دون انتظار مكافأة مادية أو معنوية.

- من حقه أن يكون في وقارٍ كرسول للسيد المسيح، ويطلب من المؤمنين تكريمه، ويستخدم سلطانه، لكن الرعاية في قلبه أولاً وقبل كل شيء أبوة لا تطلب ما لنفسها، بل ما هو للآخرين!

- حقًا أمران يفسدان حياة الخادم أو الكارز: طلب مجد الذات والطمع. والأمران في حقيقتهما هما تمركز حول الأنا، فيطلب الخادم ما لنفسه عوض ما للآخرين، ويأخذ عوض أن يعطي، ويخدم ذاته بالإنجيل عوضًا عن أن يخدم الإنجيل بحياته.

"بل كنا مترفقين في وسطكم، كما تربي المرضعة أولادها. هكذا إذ كنا حانين إليكم affectionately longing for you كنا نَرضيَ أن نعطيكم، لا إنجيل الله فقط، بل أنفسنا أيضًا، لأنكم صرتم محبوبين إلينا" [7 - 8]

- يشَّبه القديس بولس نفسه بالأم المرضعة التي تهتم برضيعها، فإنها تحنو عليه وتهتم به ليس بغية مجدٍ زمني، ولا طمعًا في مال، وإنما حبًا برضيعها.

- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [في قوله "في وسطكم" كأنه يقول: "إني كنت كواحدٍ منكم لا أتعالى"... ليس شيء أكثر اتساعًا من قلب القديس بولس الذي أحب كل المؤمنين بكل غيرة. ولم تكن محبته جزئية ولا ضعيفة، بل كان يقدمها بكمالها لكل أحد، والعجيب أن محبته نحو المؤمنين هي بعينها لغير المؤمنين، فكان قلب القديس بولس يحتضن العالم كله.]

- وقد جاءت كلمة "مترفقين" في اليونانية بمعنى "رُضَّع"، وقد ترجمها بعض الآباء في كتاباتهم: "كنا كرُضَّع في وسطكم". وكأن القديس بولس وهو يقدم نفسه كأم مترفقة بأطفالها الرُضَّع تود أن تقدم حياتها لهم، إذا به يظهر في وسطهم أيضًا كرضيعٍ بين الرُضَّع، معلنًا بساطة تعامله معهم.

"فأنكم تذكرون أيها الإخوة تعبنا وكدنا، إذ كنا نكرز بإنجيل الله، ونحن عاملون ليلاً ونهارًا، كي لا نثقل على أحد منكم. أنتم شهود والله and God also بطهارة وببرّ وبلا لوم كنا بينكم أنتم المؤمنين" [9 - 10]

- القديس بولس كارز الأمم في دول كثيرة، أحنى ظهره ليحمل أثقال الكنائس الناشئة واهتماماتها، لكنه كان يعمل بيديه نهارًا وليلاً حتى لا يثقل على أحد! كأب يتعب في الكرازة كما في عمل اليدين حتى يريح أولاده، ولا يثقل عليهم.

- وكما كتب إلى أهل كورنثوس يقول: "ألستم تعلمون أن الذين يعملون في الأشياء المقدسة من الهيكل يأكلون، الذين يلازمون المذبح يشاركون المذبح. هكذا أيضًا أمر الرب أن الذين ينادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون. أما أنا فلم أستعمل شيئًا من هذا، ولا كتبت هذا لكي يصير فيَّ هكذا، لأنه خير لي أن أموت من أن يعطل أحد فخري" (1 كورنثوس 9: 13 - 15).

- بلا شك كان يتقبل العطايا أحيانًا من الكنائس التي سبق أن كرز بها (فيلبي 4: 16)، وبمحبة كان يتقبل أحيانًا دعوة المؤمنين لافتقاد بيوتهم أو الإقامة لديهم. لكنه كان يتمنع بكل قلبه وطاقته عن الأخذ أثناء الكرازة بالإنجيل، حينما تكون الخدمة حديثة حتى لا يتعثر أحد فيه أو يتشكك في أمره.

"كما تعلمون كيف كنا نعظ كل واحد منكم، كالأب لأولاده ونشجعكم، ونشهدكم لكي تسلكوا كما يحق لله الذي دعاكم إلى ملكوته ومجده" [11 - 12]

- بعد أن أعلن القديس بولس حبه الأبوي بلا أنانية، وجهاده الكثير من أجل تمتعهم بالإنجيل، وسهره وتقديم حياته شهادة حق للإنجيل، عندئذ يتحدث عن وعظه لهم، ليس فقط على المستوى الجماعي، وإنما على مستوى كل عضوٍ فيهم، بكونه الأب الذي لا يتجاهل ابنًا من أولاده مهما بلغ عددهم.

- علاقته بالمؤمنين تقوم على أساسٍ أبويٍ (كلمة أولادي: 1 كورنثوس 4: 14؛ 2 كورنثوس 6: 13؛ غلاطية 4: 19؛ فليمون 10).

- خلال هذه الأبوة يجد راحته وفرحه وإكليله في أن يتمتع كل أبنائه بالملكوت والأمجاد الأبدية.

- وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [لأنه بالنسبة للمعلم الحكيم، الحياة والراحة والتعزية إنما تكون في نمو تلاميذه. فإنه لا شيء يكشف عن قدرته على التدبير مثل الحب أيضًا حتى بعد الولادة! فإن كانت الطبيعة تلزم وجود الحب لدى الأب، فكم بالأكثر تكون الحاجة إليه خلال (الأبوة) بالنعمة؟]

"من أجل ذلك نحن أيضًا نشكر الله بلا انقطاع، لأنكم إذ تسلمتم منا كلمة خبر من الله the word of God قبلتموها، لا ككلمة أناسٍ، بل كما هي بالحقيقة ككلمة الله التي تعمل أيضًا فيكم أنتم المؤمنين. فإنكم أيها الإخوة صرتم متمثلين بكنائس الله التي هي في اليهودية في المسيح يسوع، لأنكم تألمتم أيضًا من أهل عشيرتكم، تلك الآلام عينها كما هم أيضًا من اليهود" [13 - 14]

- "حياة الألم" جزء لا يتجزأ من كلمة البشارة أو إنجيل السيد المسيح، يعيشها المسيحي كخبرة روحية، يقتنيها خلال تمتعه بملكوت الفرح الداخلي.
- فمع الفرح الداخلي آلام في الخارج، ومع كل نموٍ روحيٍ حرب يثيرها الشيطان.
- وكأن الألم علامة حية على قبول الإنسان كلمة الخبر المفرح، واتحاده مع السيد المسيح المصلوب، وتفاعله مع الحياة الإنجيلية.
- كأن الدليل على أن الكلمة التي قبلوها من القديس بولس ليست كلمة بشرية بل هي كلمة الله أنهم احتملوا ذات الآلام التي عانت منها الكنيسة في أورشليم وكل اليهودية، حيث حملت سمة مسيحها المتألم من إخوته بني جنسه.
- فمؤمنو تسالونيكي قبلوا الآلام أيضًا من بني جنسهم، فقد هاج اليهود على إخوتهم اليهود الذين قبلوا الإيمان، والوثنيون على إخوتهم الذين آمنوا بالمسيح.

"الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم واضطهدونا نحن وهم غير مرضين لله they do not please God وأضداد لجميع الناس، يمنعوننا عن أن نكلم الأمم لكي يخلصوا حتى يتمموا خطاياهم كل حين، ولكن قد أدركهم الغضب إلى النهاية" [15 - 16]

- حقًا إن الله كضابط الكل يستخدم حتى شر الأشرار لتزكية الأبرار، فيخرج من الآكل أكلاً ومن الجافي حلاوة، لكن استخدام الله لهم لا يبرر موقفهم، ولا يجعلهم موضوع رضا الله، وإنما "هم غير مرضين لله".
- صار شرهم سبب لخلاص المختارين وتزكيتهم، لكنه لم يلزمهم بذلك، وكان يمكنه أن يستخدم وسائط أخرى لو لم يسلك هؤلاء بالشر. فلا يقتني الأشرار عداوة الله لهم بشرهم ومقاومة أولاده، وإنما أيضًا يسقطون تحت عداوة جميع الناس، إذ هم "أضداد لجميع الناس". قد يصادقهم البعض، ويشجعهم الآخرون على شرهم، لكن لابد للشر أن ينفضح، فيفقد الشرير كل من هم حوله.
- أخيرًا فإن غاية الأشرار الثائرين في تسالونيكي هي مقاومة كلمة الحق ومضادة الإيمان الحيّ. لكنهم عوض أن يحققوا هدفهم "يتمموا خطاياهم كل حين" فيدركهم "الغضب إلى النهاية".

"وأما نحن أيها الإخوة، فإذ قد فقدناكم زمان ساعة بالوجه لا بالقلب، اجتهدنا أكثر باشتهاءٍ كثير أن نرى وجوهكم. لذلك أردنا أن نأتي إليكم أنا بولس مرة ومرتين، وإنما عاقنا الشيطان. لأن من هو رجاؤنا وفرحنا وإكليل افتخارنا؟ أم لستم أنتم أيضًا أمام ربنا يسوع المسيح في مجيئه، لأنكم أنتم مجدنا وفرحنا" [17 - 20]

- إن كان القديس بولس قد سحب قلب المؤمنين من الآلام الخارجية إلى الفرح بكلمة الله العاملة فيهم، والبهجة بالشركة مع السيد المسيح المتألم ومع الكنائس الأخرى المتألمة، لكنه وسط هذه الانطلاقة الروحية العالية يكشف عن مشاعر الشوق الحقيقي التي تملأ قلبه نحوهم. إنه الإنسان الروحي الواقعي الذي يشتهي أن ينطلق مع إخوته إلى السماوات عينها دون تجاهل للجانب الإنساني والمشاعر والأحاسيس البشرية.

- إنه كأب روحي حقيقي يشعر بوجودهم في قلبه. إن كان قد حُرِم منهم زمانًا يسيرًا فلم ينظرهم جسديًا كما لزمان ساعة واحدة، لكنهم يحتلون قلبه في ربنا المسيح يسوع. إنه يحبهم ويشتاق إليهم، معبرًا عن هذه المشاعر المقدسة بلا حرج، قائلاً: "اجتهدنا أكثر باشتهاء كثير أن نرى وجوهكم". إنها مشاعر بشرية إنسانية قد تقدست في الرب يسوع، لهذا يعتز بها القديس بولس في كل كتاباته.